AIJLLS |MARCH 2023 | VOL 7 ISSUE 15
مجلة اللسان الدولية / العدد الخامس عشر (مارس ٢٠٢٣م/ ١٤٤٤ هـ)
الترقيم الدولي ISSN 2600-7398

الأسرار البيانية في توظيف القرآن للفروق الدلالية بين بنيتي فعَّل وأفعل

نور موسى هارون

mailnuramusa247@gmail.com

الأستاذ المشارك الدكتور عبد الواسع إسحاق ناصر الدين

abdul.wasiu@mediu.edu.my

المشارك الدكتور الأستاذ كوسوبي عيسى

koussoube.issa@mediu.my

ملخص البحث

فكرة هذا البحث قائمة على أساس تتبع توظيف القرآن الكريم لبنيتي فعَّل وأفعل، ومحاولة الوقوف على الفروق الدلالية بين هاتين البنيتين، وكيفية توظيف القرآن الكريم لهذه الفروق، بناء على ما تبناه الباحث – تبعًا لغيره – من نفي الترادف المطلق بين أبنية الأفعال. وقد تتبع الباحث الأفعال التي وظفها القرآن الكريم في قالب فعَّل وأفعل التي تعود إلى أصل واحد، وهي: بلَّغ وأبلغ، ونبَّأ وأنبأ، وكرَّم وأكرم، ومهَّل وأمهل، ونجَّى وأنجى، ونعَّم وأنعم، ووصَّى وأوصى، ونزَّل وأنزل، ووفَّى وأوفى، فأسفر هذا التتبع عن الأسرار البيانية التي اقتضت تفنن القرآن الكريم في اختيار بنية كل فعل، وأن القرآن الكريم لا يوظف بنية فعلية في سياق معينّ؛ ثم يعدل عنها ويوظف بنية أخرى في سياق آخر؛ إلا لما تحمله كل بنية من دلالة خاصة زائدة على الدلالة العامة المستفادة من المادة الأصلية. وقد أبرز البحث الأسرار والأسباب البيانية ومتطلبات السياق والمقام، التي اقتضت استعمال بنية فعّل وهي: الدلالة على التكرار والتكثير، والدلالة على المبالغة والقوة في الفعل، والدلالة على وقوع الفعل على وجه التفصيل والتقصي وعدم الإخلال بشيء منه، والدلالة على التدرج والتمهل في الفعل، والدلالة

على الاهتمام والعناية.أما الأسباب التي اقتضت توظيف بنية أفعل هي عكس المعاني التي تدل عليها فعَّل؛ فحيث جاء الفعل على بنية فعَّل تارةً وأفعل تارةً، فإن أفعل توظف عند عدم إرادة المبالغة في الفعل، أو للدلالة على وقوع الحدث على وجه الإجمال دون التفصيل والتقصي أو للدلالة على السرعة في قوع الحدث ووقوعه دفعة واحدة.

Abstract

The idea of the research is based on the disbursement of the morphological structure between (فعّل) and ,(أفعل) so as to dichotomize the various uses of the structures, based on the researcher's view – and so many scholars as well – i.e. negation of direct synonyms in the Holy Qur'an among verb forms. And the researcher searched the verb forms on the two structures, which are (بلَّغ وأبلغ، ونبَّأ وأنبأ، وكرَّم وأكرم، وممَّل وأمهل، ونجَّى وأنجى، ونعَّم وأنعم، ووصَّى وأوصى، ونزَّل وأنزل، ووفَّى وأوفى) The research has discovered the amazing rhetoric wisdoms behind interchanging the two forms. Wherever the Holy Qur'an uses a form and then uses another form, derived from the original somewhere there must be a wisdom behind it. In Most cases, the use of the morphological structure (فعّل) means regular occurrence of the verb, or constant occurrence, or sequential order step by step and others alike. Whereas, the use of the form (أفعل) mostly signifies the direct opposite of the form .(فعّل) Therefore, if a verb appears in the form (فعّل) and then ,(أفعل) the last form mostly implies the occurrence of the verb at once without sequential order.

المقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الصيغة الصرفية التي يتقبلها الفعل الواحد هي التي تشكل دلالة الفعل داخل السياق وتضيف إليه خاصية دلالية زائدة على الدلالة الأصلية المعجمية التي تفهم من المادة خارج السياق؛ لذلك قرر كثير من اللغويين أن الترادف المطلق ليس له وجودٌ في توظيف القرآن الكريم للصيغ الفعلية؛فالمعاني المطلوب إيصالها في كل سياق هي التي تحدد الصيغة التي تستحق أن تحل في موضع معين وتبعد الصيغ التي لا تستحق هذا الموضع.

وبما أن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي أحاط كل شيء علما؛ فقد كان أسلوب القرآن أسلوب المحيط بجميع الكلمات التي تتزاحم على مكان واحد لتقاربها

في المعنى، تقاربًا يكاد يقضي على الفروق الدقيقة الكامنة بينها، فهو أسلوبٌ لا يخفى عليه الفرق بين الصيغ مهما دق ولطف؛ كما لا يخفى عليه السياق الذي تستحقه كل بينة.

والغرض من هذا البحث هو الوقوف على بعض الأسرار البيانية في اختيار القرآن الكريم لصيغة أفعل تارة وصيغة فعَّل تارة أخرى في الأفعال التي ترجع إلى مادة واحدة؛ حيث إن المتأمل والمتدبر للقرآن الكريم يقف على عدة أفعال وظفها القرآن الكريم في قالب بنيتين وهما: أفعل وفعَّل؛ حيث يختار بنية أفعل في سياق ثم يعدل عنها إلى بنية فعّل في سياق آخر، مع أن أصل مادة الفعل واحدة، مثل أوصى ووصّى، وأنبأ ونبّأ، وأكرم وكرَّم، وغير ذلك مما يأتي بيانه بالتفصيل.

ولا شك أن وراء هذا التفنن في اختيار البنية التي يظهر الفعل في قالبها أسرارًا بيانية ومتطلبات سياقية اقتضت ذلك، والذي يساعد على معرفة هذه الأسرار هو تحديد الفروق الدلالية الكامنة بين بنية أفعل و فعَّل؛ ثم تتبع سياقات التي اختار لها القرآن الكريم بينة أفعل والسياقات التي اختار لها بنية فعَّل، حينئذ يظهر سبب الاختيار وسر التوظيف. وهو ما يحاول الباحث القيام به بعون الله وتوفيقه.

أسئلة البحث:

تتشكل أسئلة التي يحاول الباحث الإجابة عنها في العناصر الآتية

١- ما هي الفروق الدلالية الكامنة بين بنيتي أفعل وفعَّل؟

٢-ما هي الأفعال التي وظفها القرآن الكريم تارة في بنية أفعل وتارة في بنية فعَّل؟

٣-ما هي الأسرار البيانية في توظيف القرآن الكريم للفروق الدلالية بين بنيتي أفعل وفعّل؟

أهداف البحث:

تتمحور أهداف البحث على ضوء أسئلة البحث السابقة

١- توضيح الفروق الدلالية الكامنة بين بنيتي أفعل وفعّل.

٢-استقراء وجمع الأفعال التي وظفها القرآن الكريم تارة في بنية أفعل وتارة في بنية فعَّل

٣-إبراز الأسرار البيانية في توظيف القرآن الكريم للفروق الدلالية بين بنيتي أفعل وفعَّل.

حدود البحث:

يقتصر البحث على دراسة الأفعال التي وظفها القرآن الكريم في بنيتين معًا، تارة في بنية أفعل وتارة في بنية فعَّل؛ حيث يختار للفعل بنية أفعل في سياق، ثم يعدل عن بنية أفعل ويختار لنفس الفعل بنية فعَّل في سياق آخر.

فمثل هذه الأفعال هي التي تشكل مادة البحث، وهي التي يتتبعها الباحث ليقف على أسرار هذا التفنن في اختيار الصيغة التي يصوغ الفعل في قالبها، وملامح السياقات التي يختار لها صيغة أفعل، والسياقات التي يختار لها صيغة فعَّل.

وبناء على هذا فإن البحث لا يتناول الأفعال التي وظفها القرآن الكريم في بنية أفعل فقط، أو في بنية فعَّل فقط بالدراسة.

الفروق الدلالية بين بنيتي فعَّل وأفعل في توظيف القرآن الكريم

١- الفرق بين بلَّغ وأبلغ:

إن بنية بلَّغ وأبلغ يشتركان في الدلالة على إيصال الأمر إلى الغير، لكن القرآن الكريم فرق بينهما في التوظيف، فقد وظف بلَّغ وفقًا لدلالتها على المبالغة والتكثير والتفصيل، فالآيات التي وظف فيها هذه البنية تدل على المبالغة في التبليغ وعدم ترك شيءٍ مهما دق وصغر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ المائدة: ٦٧

﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٦٢

﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ الأعراف: ٦٨

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ الأحقاف: ٢٣

ففي الآية الأولى أمرٌ من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ جميع ما أنزل إليه من الوحي؛ لذلك استعمل لفظًا من ألفاظ العموم وهي – ما – ثم حذره من ترك شيء مهما قل، أي إن تركت شيئا فكأنك قد تركت الكل، وصار ما بلغت غير معتد به"[١].

وهذه المبالغة في الأمر بالتبليغ تقتضي بينة تدل عليها؛ لذلك وظف فيها بلّغ دون أبلغ.

وكذلك في قصة نوح وهود فإن كلا منهما وصف نفسه بأنه يبلغ الرسالات بفعل مضارع الذي يفيد الحال والمستقبل؛ فكأنه قال هذه وظيفته في حاله وفي مستقبله لا يغير ولا يبدل، ثم استخدم الرسالات بصيغة الجمع مما يدل على تعميم التبليغ لكل جزئية من جزئيات الرسالة، ثم صف كل منهما بأنه ناصح، ووصف بزيادة العلم في الأولى، وبالأمانة في الثانية.

فكأنه يقرر لهم أنه تبليغ ممن وقف حياته على التبليغ وهو ناصح لهم يريد لهم الخير، وأمين لا يزيد ولا ينقص من الرسالة التي أرسل بها بل يبلغها كلها لأنه عالم بها وبتفاصيلها، فالتبليغ على هذه الصورة ممن هذا وصفه تبليغ بَلَغَ الغاية المطلوبة فيه لذلك عبر عنه ببنية تقتضي المبالغة في الأمر.

وهذه المبالغة هي التي اقتضت بنية بَلَّغَ في قوله تعالى:: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ الأحزاب: ٣٩

ففي وصف الرسل بأنهم يخشون الله ولا يخشون أحدًا غيره دلالة على أنهم يقومون بهذا التبليغ على أفضل وجه ممكن، ولا يكتمون شيئًا خوفا من أحد،

١- ابن عطية، **المحرر الوجيز**، د.ط، ج٤، ص:٣٢٢.

فهم إذًا يبالغون في تبليغ رسالة الله، فاقتضى الحال توظيف بنية تدل على المبالغة في التبليغ.

أما بنية أبلغ لما كانت دلالته على الإبلاغ دون بَلَّغ في التكثير والإطناب والتفصيل في بيان الرسالة، وظفها القرآن الكريم في السياق الذي يدل على نهاية الإبلاغ وانقطاعه، والأمر إذا انتهى وانقطع ليس بقوة الأمر المستمر الدائم، لذلك وظف القرن الكريم بنية أبلغ بعد إهلاك الكافرين وانتهاء مهمة الرسل في الإبلاغ فعبر عنه بصيغة الماضي[١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ الأعراف: ٧٩

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ الأعراف: ٩٣

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ هود: ٥٧

﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴾ الجن: ٢٨

كل هذه الآيات سياقها ينبئ عن إنهاء الرسل لمهمة الإبلاغ والإنذار الذي أوجب الله تعالى عليهم، فالمقام مقام إخبار عن الإبلاغ بعد الانتهاء منه. والله أعلم.

١- ينظر رضا هادي حسون، **الفروق الدلالية بين الأفعال المزيدة في القرآن الكريم**، (مجلة كلية التربية /الجامعة المستنصرية / العدد الثاني (٢٠٠٥)، ص:٣٠.

: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ٦

فالسياق يقتضي بنية أفعل الدالة على السرعة وإنجاز المهمة في أقرب وقت ممكن، لأنه عبارة عن إبلاغ رجل واحد إلى مأمنه فهو عمل يتم في وقت قصير دون عناء أو مشقة لذلك وظف فيه بنية أبلغ دون بَلَّغ.

٢- الفرق بين نَبَّأ وأَنبَأَ:

نبَّأ وأنبأ يشتركان في الدلالة على إخبار الغير بالشيء، وهما من الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل إذا كانت بمعنى أعلم يقال: نبأت زيدًا العلمَ نافعًا، وأنبأت زيدًا العلمَ نافعًا.

وقد وظف القرآن الكريم أنبأ ونبَّأ في سياقات مختلفة وادعى بعض المفسرين أنهما بمعنى ومن هؤلاء ابن عاشور؛ حيث قال:" واعلم أن نبأ وأنبأ مترادفان وهما بمعنى أخبر وأن حقهما التعدية إلى مفعول واحد"[٢].

ومن تأمل السياقات التي وظف فيها هاتين البنيتين: نبَّأ وأنبأ لا يستسلم لدعوى الترادف بسهولة؛ لأنه يلمس فروقًا جوهرية استوجبت أن يكون لكل سياق بنيته الخاصة، ولا يمكن أن يستبدل بها بنية أخرى.

فعند استحضار معاني فعَّل نجد أنها تدل على التكثير والمبالغة، وليس في بنية أفعل ما يفيد التكثير ولا

١- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د.ط، ج٢٨، ص:٣٥٥.

المبالغة[١]، فعندما يقال نبَّأ على زنة فعَّل، فإن هذا يدل على المبالغة في الإخبار واستقصاء كل جزئية من جزئيات الخبر، بخلاف أنبأ فإنه يدل على مجرد الإخبار جملةً، دون التعرض للجزئيات، ويدل على ذلك الفرق بين قول القائل أعلمته وعلَّمته، ولا شك أن علَّمته أبلغ من أعلمته، لذلك يستعمل علَّمته فيما يحتاج إلى وقت كثير في التكرار والتفصيل، بخلاف أعلمته فإنه مجرد إعلام بشيء على وجه وسرعةٍ واقتضابٍ، لذلك يقال علَّمته النحو حتى تعلم ولا يصح أعلمته النحو حتى تعلم.

لذلك وظف القرآن الكريم نبَّأ في السياقات التي تدل على المبالغة في الإخبار وعلى خبرة المخبر بالخبر وأنه يستطيع الإخبار عن الأمر بالتفصيل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة: ٩٤

﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ يونس: ١٨

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ يوسف: ١٥

﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الحجر: ٤٩

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الحجر: ٥١

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر: ١٤

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾ القمر: ٢٨

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ التحريم: ٣

ففي جميع هذه الآيات وظف القرآن الكريم نبَّأ دون أنبأ للدلالة على أن المخبر خبيرا وعالما بالخبر وإخباره بالخبر يكون على وجه التفصيل الذي قد يقتضي التكثير والتكرار.

ففي سورة التوبة تقريعا وتوبيخا للمنافقين بألا يضيعوا وقتهم في الاعتذار لأن المؤمنين على دراية تامة بأخبارهم لأن الله تعالى هو الذي نبَّأ المؤمنين بأخبار المنافقين، وإخبار الله تعالى لا شك أنه يكون على وجه التفصيل والدقة لأنه إخبار مَنْ أحاط كل شيئا علما، ثم ختم الآية بأنهم يردون إلى الله تعالى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما عملوا في الدنيا على وجه التفصيل والاستقصاء.

ولا شك أن سياق الآية يستوجب توظيف بنية نبَّأ دون أنبأ لأن السياق سياق إخبارٍ عن كل شيءٍ على وجه الإحاطة والدقة والتفصيل.

٢- ينظر الزبيدي، **تاج العروس**، د.ط، ج١، ص:٤٤٤.

وقال في سورة يونس :﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يونس: ١٨ والإخبار عما في السموات والأرض لو كان ممكنا لاحتاج إلى وقت كثير وإطالة في الحديث لذلك وظف بنية فعَّل الدالة على التكثير والإطالة.

وفي سورة يوسف يسلي الله تعالى يوسف عليه السلام بأنه سيأتي عليه وقتٌ يخبر إخوته بما فعلوه، ولا شك أن يوسف عالم بما جرى له على وجه التفصيل فعندما يخبر إخوته بما فعلوا سيكون على وجه التفصيل لذلك وظف فيه بنية نبَّأ دون أنبأ.

أما الآيتان في سورة الحجر والآية في سورة القمر ففيها أمر الله تعالى نبيه أن ينَبِّئَ عباده بما أوحي إليه وهو مقام يقتضي الخبرة التامة بما يخبر به ولا شك أنه سيكون إخبارًا على وجه التفصيل والدقة؛ لذلك صدر الأمر الإلهي ببنية نبِّئ عبادي دون أنْبِئ.

وفي سور الفاطر الأمر أكثر وضوحا؛ لأنه قال﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فاطر: ١٤ والخبير عندما يخبر عن الشيء يكون خبره على التفصيل، والبنية المناسبة لهذا التفصيل هي نبَّأ دون أنبأ.

أما في سورة التحريم فإنه استعمل نبَّأ ثلاث مرات وكلها تدل على الإخبار بالخبر على وجه التفصيل واستعمل أنبأ في قوله: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ﴾ والسر في هذا العدول – والله أعلم – أمران:

الأمر الأول: أنه مقام سؤال عمن أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخبر، ويحتمل أن يكون هذا المخبر إنسانًا، وإذا كان إنسانًا فيبعد أن يكون عالما بالخبر على وجه التفصيل، لذلك وقع السؤال ببنية لا تقتضي التفصيل.

الأمر الثاني: لما أظهر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن حفصة رضي الله عنها أفشت السر عرفها ببعض ما أفشته لا كله، فظنت أن الذي أخبره إنما أخبره عن بعض الخبر لا كله، فناسب أن تستعمل أنبأ التي تدل على مجرد الإخبار دون استقصاء أو تفصيل.

لذلك لما أخبرها أن الله هو الذي تولى إخباره، بكل ما جرى، وخبره تعالى يكون على وجه التفصيل والاستقصاء، عدل عن بنية أنبأ التي وظفها في السؤال إلى بنية نبَّأ التي تدل على المبالغة والتفصيل فقال:﴿ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

وعند استعراض الآيات التي وظف فيها أنبأ يظهر أنها وظفت في مقامٍ لا يقتضي التفصيل في الإخبارٌ إنما هو إخبار على وجه الإجمال دون تعرضٍ لجزئيات المخبر عنه وتفاصيله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ٣١

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة: ٣٣

الله تعالى عرض الأشياء على الملائكة ثم طالبهم بالإخبار عن أسمائها، والإخبار عن اسم الشيء، مجرد

الاسم، لا شك أنه إخبارٌ مجملٌ لا يحتاج إلى وقت كثير، بخلاف الإخبار عن صفته وفائدته؛ فإنه يحتاج إلى بيان على وجه التفصيل؛ فلما وقع السؤال بالإخبار عن الأسماء لا الصفات وظف بنية أنبأ في القصة كلها دون نبَّأ.

والله أعلم

٣- الفرق بين كرَّم وأكرم: تدل مادة كَرُم على شرف الشيء وعزه ونفاسته، وتدل على السخاء والجود والعفو، فالكرم اسم جامع لكل معاني العظمة في الذات والشرف في الخلق، يقال رجل كريم وفرس كريم ونبات كريم إما للدلالة على شرف وعظمة في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، وأكرم الرجل، إذا أتى بأولاد كرام[١].

ومادة كرم لها ثلاث استعمالات وهي كَرُمَ وكرَّم وأكرم؛ أما كَرُم فهي لازمة تدل على اتصاف الشيء بمعاني العز والشرف والعظمة، وكرَّم وأكرم للتعدية تدل على تكريم الغير أو إكرامه، مع فرق دلالي بين بنية فعَّل وأفعل وقد وظف القرآن الكريم بنية كرَّم وأكرم في ثلاثة مواضع؛ أما بنية كَرَّم فوظفها للدلالة على الكثرة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٠ ولما كان التكريم وقع على جنس بني آدم كل على حسب منزلته عند الله، وهم عدد لا يحصون إلا في علم الله تعالى، وظف بنية فعَّل للدلالة على كثرة التكريم. والله أعلم

وكذلك وظف كرَّم للدلالة على المبالغة في التكريم قوله تعالى: :﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٦٢

ومناسبة هذه البنية للسياق الإشارة إلى شدة وقع هذا التكريم على نفس إبليس لأنه قرر في نفسه أنه أفضل من آدم، لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين؛ فلما صدر الأمر من الله بالسجود لآدم عَظُمَ ذلك في نفس إبليس وصُدِم بالأمر؛لذلك وظف بنية كرَّم للدلالة على شدة الأمر على إبليس. والله أعلم.

أما أكرم فزيادة على تعديتها فإنها تختار للدلالة على السرعة في وقوع الفعل وإنجازه في وقت قصير، وبناءً على هذا وظف بنية أكرم في قوله تعالى﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴾ الفجر: ١٥

واختار بنية أكرم؛ لأن الحديث يتعلق بكل إنسان على وجه الانفراد وإكرام الإنسان وحده أسرع وقوعًا من تكريم بني آدم كلهم، فإنه يتم في أوقات متفرقة، أما إكرام الإنسان وحده فإنه يتم في وقت واحد لذلك وظف بنية أكرم الدالة على السرعة. والله أعلم

١- ينظر ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د.ط، ج٥، ص:١٧٢.

٤– الفرق بين مهَّل وأمهل: تشترك هاتين البنيتين على عدم الاستعجال للشيء وإعطائه المهلة والتؤدة.

وقد وظف القرآن الكريم هذه المادة في بنيتين وهما: مهَّل بالتضعيف وأمهل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ المزمل: ١١، ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ الطارق: ١٧

وقد مال كثير من المفسرين إلى القول بالترادف بين مهَّل وأمهل وأن تغيير اللفظ في سورة الطارق إنما جاء لزيادة المبالغة والتسكين، قال في الكشاف:" فمهل الكافرين يعنى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به أمهلهم رويدا أي إمهالا يسيرا، وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير"[١].

وفي تفسير الكبير للرازي:" ثم قال: فمهل الكافرين أي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل؛ ثم إنه تعالى لما أمره بإمهالهم بين أن ذلك الإمهال المأمور به قليل، فقال: أمهلهم رويدا فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين من الرسول عليه الصلاة والسلام والتصبر"[٢].

وقال القرطبي:" أمهلهم تأكيد. ومهل وأمهل: بمعنى، مثل نزل وأنزل. وأمهله: أنظره، ومهله تمهيلا، والاسم: المهلة. والاستمهال"[٣].

والقول بالترادف بين بنيتين مختلفتين أمر خلاف الأصل، فلا يصار إليه إلا إذا تعذر حمل كل بنية على المعنى الخاص، حسب دلالاتها المعروفة، وحسب ما يقتضيه السياق، ورغم اشتراك مهل وأمهل في الدلالة على إعطاء المهلة وعدم الاستعجال للكفار؛ لكن العرب تستعمل أمهل في معنى آخر لا يستعمل فيه مهَّل وهو الرفق بالشيء، يقال أمهله إذا رفق به وتعامل معه باللين، وفي القاموس المحيط:" والمهلة، بالضم: السكينة والرفق، وأمهله رفق به، ومهله تمهيلا: أجله"[٤].

وفي هذا النص دلالة واضحة على أن العرب تفرق بينهما في الاستعمال أحيانًا رغم اشتراكهما في المعنى العام، فتقول: أمهله إمهالًا إذا رفق به ومهله تمهيلا إذا أجل أمره وأخره، ويؤيد هذا قول الراغب في المفردات:" المهل: التؤدة والسكون، يقال: مهل في فعله، وعمل في مهلة، ويقال: مهلا. نحو: رفقا، وقد مهلته: إذا قلت له مهلا، وأمهلته: رفقت به"[٥].

وبناءً على هذا يمكن أن يقال إن مهَّل يقصد بها عدم الاستعجال عليهم بالهلاك ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي لا تستعجل عليهم ولا تدع لهم بالهلاك.

١– الزمخشري: **الكشاف**،د.ط، ج٤، ص:٧٣٧.

٢– الرازي، **مفاتيح الغيب**، د.ط، ج٣١، ص:١٢٤.

٣– القرطبي، **جامع لأحكام القرآن**، د.ط، ص:٢٠–١٢.

٤– الفيروز أبادي، **القاموس المحيط، د.ط، ج١**، ص:١٠٥٩.

١– الراغب، **مفردات في غريب الحديث**، د.ط، ج١، ص:٧٨١.

وأما أمهل فيقصد به الرفق، فمعنى ﴿ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا ﴾ أي ارفق بهم وعاملهم بالتي هي أحسن، حتى يأتي وقت إهلاكهم إن استمروا على الكفر .

فمهَّل تدل على تأخيرهم وأمهل تدل على الرفق بهم، ومناسبة فعَّل للتأخير لأنهم في كل وقت يكذبون فيه الرسول ويستهزئون به يعرضون أنفسهم للهلاك، لأنهم يفعلون ما يستحقون به الاستئصال والهلاك، فجاءت صيغة مهَّل الدالة على التكرار والتكثير للإشارة إلى أن أنهم وإن كانوا يكررون ارتكاب ما يستحقون به الهلاك فأنت لا تدع لهم بالهلاك فكرر التمهيل والصبر كلما كرروا فعل ما يستحقون به الهلاك، لذلك جاءت صيغة مهَّل في سورة المزمل للتوعد والوعيد لأنهم يفعلون دائمًا ما يستحقون به الهلاك كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾ المزمل: ١١. . والله أعلم

٥- الفرق بين نجَّى وأنجى: وظف القرآن الكريم هذه المادة في بنيتين نجَّى وأنجى وكلا البنيتين تدل على التعدية، إلا أنهما تختلفان في حيثيات التنجية أو الإنجاء بناءً على اختلاف البنية، والملاحظ عند تتبع مواقع نجى وأنجى يتبين أن الغالب في نجّى توظيفه للدلالة على التدرج والتمهل في التنجية، وأنجى للدلالة على الإسراع في الإنجاء[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴾ البقرة: ٤٩

﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة: ٥٠

وظف بنية نجَّى في الآية الأولى لأن النجاة من آل فرعون ما تم في وقت واحد، حيث إن الأسباب التي أدت إلى النجاة حصلت في فترات متفرقة بداية من الحمل بموسى وولادته وحفظه من بطش فرعون إلى آخر الأسباب التي جعلها الله تعالى مقدمة لنجاة بني إسرائيل من آل فرعون، أما النجاة من البحر فإنما تم في وقت واحد لذلك وظف فيه أنجى الدالة على السرعة في الإنجاء[٢]. والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ

وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ يونس: ٢٢

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ

(١) ينظر المرجع السابق بتصرف.

٢- ينظر فاضل السامرائي، **بلاغة الكلمة في القرآن الكريم**، د.ط، ص:٦٦.

إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٢٣

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ الإسراء: ٦٧

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت: ٦٥

في الآتين من سورة يونس وظف بنية أنجى الدالة على السرعة، لأن المخاطر التي أحاطت بهم شديدة، ريح عاصف والموج من كل مكان، حتى كادوا يتحققوا الهلاك لذلك طلبوا من الله استغاثة عاجلة لأنهم على شفى حفرة من الهلاك فالحال لا تتحمل التدرج أو الإمهال. والله أعلم.

ووفي سورة الإسراء والعنكبوت خلا السياقان من المخاوف المذكورة في سورة يونس لذلك وظف فيهما بنية نجَّى الدالة على الإمهال والتلبث [١]. والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٢٤

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ المعارج: ١١ - ١٤

ففي سورة العنكبوت عبر عن نجاة إبراهيم عليه السلام ببنية أنجى للدلالة على سرعة نجاته من النار، وأنها تحولت إلى النار الباردة فور صدور أمر الله تعالى بذلك، ومناسبة بنية أنجى في سياق سورة المعارج واضح لأن كل من يطلب النجاة من النار لا بد أن يستعجل في الطلب ويود أن يحصل له النجاة في أقرب سرعة ممكنة، لأن حرارة النار شيء لا يحتمل. والله أعلم.

وفي قصة نوح عليه السلام اختار بنية أنجى في سورة الأعراف والشعراء لأنه فصل الحوار الذي دار بينه وبين قومه وذكر تهديداتهم له بالإخراج فناسب أن يذكر البنية الدالة على سرعة نجاة نوح من هذه التهديدات قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ الأعراف: ٦٤ ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ الشعراء: ١١٩

وفي سورة يونس ذكر القصة على وجه الاختصار ولم يتعرض لذكر ما قاله الكفار لنوح عليه السلام من الاستهزاء والتخويف لذلك عدل عن بنية أنجى إلى بنية نجَّى للتفريق بين السياقين. والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ يونس: ٧٣

(٢) ينظر المرجع السابق: ص:٦٨.

وفي قصة صالح مع ثمود تنوع اختيار القرآن للبنية المعبرة عن النجاة فوظف بنية أنجى في سورة النمل وبنية نجيَّ في سورة فصلت: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ النمل: ٥٣

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ فصلت: ١٨

وعند تأمل سياق الآيات التي جاءت في سورة النمل نرى أن المقام يقتضي التعبير ببنية تدل على الإسراع

في إنجاء صالح وقومه، لأن الكافرين بلغوا الذروة في التهديد والتخويف، فقد بدأوا بالحرب النفسية حيث أعلنوا أنهم متشائمون بصالح ومن معه وبقائهم خطر على المجتمع، ثم انتقلوا إلى التهديد بالتصفية الجسدية لصالح وأهله، فعبر القرآن ببنية أنجى إشارة إلى أنهم لم يمهلوا حتى ينفذوا تخطيطاتهم ضد صالح وأهله، بل فاجئهم بالعذاب كما أشار إلى ذلك بقوله:

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ النمل: ٥٠ ــ ٥١ والله أعلم.

أما سورة فصلت فليس فيها هذه التهديدات، إنما ذكر أنهم هدوا فاختار العمى على الهدى لذلك عدل إلى البنية التي لا تدل على الإسراع في الإهلاك. والله أعلم.

٦- الفرق بين نَزَّل وأنزل: وظف القرآن الكريم هذه المادة كثيرًا، وهي في العموم تدل على النقل أو التنقل أو الهبوط من الجهة العليا إلى الجهة السفلى[١]، أما بنية نزل المجردة فهي لازمة تدل على هبوط الشيء بنفسه من الأعلى إلى الأسفل.

وأما نزَّل وأنزل المزيدتان فإن جميع اللغويين والمفسرين متفقون على أن الزيادة فيهما تدل على التعدية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من يرى أن نزَّل تدل على التكرار والتدرج والتفريق في التنزيل، وأنزل تدل إما على الإنزال مرة واحدة وجملة واحدة، أو على مطلق الإنزال دون الإشارة إلى كيفية الإنزال.

وممن يرى هذا التفريق الإمام الزمخشري حيث يقول في أول سورة آل عمران " فإن قلت: لم قيل (نزل عليك الكتاب) (وأنزل التوراة والإنجيل)؟ قلت: لأن القرآن نزل منجما، ونزل الكتابان جملة"[٢].

وقال في سورة النساء:" فإن قلت: لم قيل (نزل على رسوله) و(أنزل من قبل)؟ قلت لأن القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة، بخلاف الكتب قبله"[٣].

فواضح من كلام الزمخشري هذا أنه يفرق بين دلالة نزَّل ودلالة أنزل، فنزل عنده فيما كان مفرقا وأنزل فيما كان جملة، وتابعه الرازي على هذه الاتجاه [٤].

(١)ينظر ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د.ط، ج٥، ص:٤١٧.

(٢)الزمخشري، **الكشاف**، د.ط، ج١، ص:٣٣١.

(٣)المرجع السابق.

(٤)ينظر الرازي، **مفاتيح الغيب**، د.ط، ج٥، ص:٢٤٥.

ويخالفهم في هذا الرأي بعض المفسرين حيث يرون أن نزَّل وأنزل ليس بنهما فرق دلالي يجوز استعمال أحدهما مكان الآخر.

ويشمل هذا الاتجاه أبو حيان حيث يقول في رده على الزمخشري في تفريقه بينهما:" إن التعدية بالتضعيف لا تدل على التكثير، ولا التنجيم، وقد جاء في القرآن: نزل وأنزل، قال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر وأنزل عليك الكتاب"(١)، وقال بهذا الرأي قبله الإمام القرطبي في تفسيره(٢).

والذي يظهر عند تأمل توظيف القرآن الكريم لهاتين البنيتين أنه لا يمكن المصير إلى القول بالترادف بينهما؛ لأن القرآن الكريم فرق بينهما في التوظيف، وخصوصا في الآيات التي جمع الله فيها بين بنية أنزل ونزَّل.

وقد ثبت بالاستقراء أن القرآن الكريم لا يعدل عن بنية إلى بنية أخرى إلا لأسرار بيانية تقتضي توظيف هذه البنية هنا وتلك هناك؛ أما ما استدل به أبو حيان من استعمال أنزل في معرض الحديث عن القرآن الكريم في بعض الآيات، فيمكن تخريج هذه الآيات تخريجا يتوافق مع ما تقرر من الفرق بين دلالة فعَّل وأفعل، وهذا أفضل من دعوى الترادف مع وجود شواهد تؤكد الفرق، وبناء على هذا، وعلى تتبع مواضع التي وظف فيها القرآن الكريم بنية نزَّل وأنزل يمكن التفريق بينهما تفريقا تنتظم فيه جميع الآيات التي يتشبث بها من يدعى الترادف.

وبتتبع ما جاء في القرآن الكريم يتبين أن أنزل يدل إما على مطلق الإنزال، أو على الإنزال دفعة واحدة، والتنزيل يوظف للدلالة على تكرار التنزيل والتدرج فيه، وفي الدلالة على الزيادة في الاهتمام والتأكيد، أو للدلالة على المبالغة في البيان والتفصيل.

وبناء على هذا التفريق يمكن توجيه جميع الآيات التي وظف فيها أنزل أو نزَّل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة:] ١٧٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]

ففي هذا الآيات وظف القرآن الكريم نزل في تنزيل القرآن الكريم للدلالة أولا على العناية والأهمية

(١)أبو حيان، **البحر المحيط**، د.ط، ج٣، ص:١٦.

(٢)ينظر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، د.ط، ص:٢٠-١٢.

الزائدة، لأن من دلالات فعَّل القوة والمبالغة في الفعل، وللدلالة على تكرار النزول في أوقات متفرقة.

ووظف أنزل في إنزال التوراة والإنجيل للدلالة على إنزالهما دفعة واحدة، وحيث قرنهما بالقرآن الكريم فيه إشارة إلى أفضلية القرآن الكريم لذلك خصه بالبنية الأكثر مبالغة. والله أعلم.

وأما ما اعترض به أبو حيان وغيره من استعمال أنزل في القرآن الكريم في بعض الآيات مثل **قَالَ تَعَالَى**: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [الكهف: ١]

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣]

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان: ٣]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]

وغيرها من الآيات التي وظف فيها بنية أنزل مع القرآن الكريم مع أنه لم يتم إنزاله دفعة واحدة، والجواب عن هذا يكون على حسب كل آية بمفردها وعلى حسب سياقها.

ففي سورة البقرة وسورة الدخان وسورة القدر كان الحديث في إنزال القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا الذي تم في ليلة القدر من شهر رمضان، وهذا الإنزال تم دفعة واحدة وفي وقت واحد؛ لذلك وظف فيه بنية أنزل لأنها أنسب في الدلالة على هذا النزول.

أما سورة النحل والكهف والأنبياء وطه فإن الحديث في مطلق الإنزال دون التعرض لبيان الكيفية؛ فالآيات تتحدث عن نعمة الله تعالى على رسوله وعلى أمته حيث أنزل كتابه على رسوله لهدايتهم؛ فالمقصود بيان النعمة والفضل في الإنزال، ومقام بيان الفضل والنعمة يقتضي توظيف بنية تدل على إتمام الشيء وإكماله، فإن النعمة إنما تمت بإنزال القرآن الكريم كله. والله أعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]

وقوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٠]

حيث جمع بين نزَّل وقولهم: "جملة واحد" مع أن نزَّل أَصل في الدلالة على التنجيم، وفي سورة محمد قال نزَّل في شأن سورة، مع أن الغالب في السورة أن تنزل جملة واحدة، فالجواب عن هذا أن يقال إنما وظف نَزَّل للدلالة على قوة حرص الكفار في إنزال القرآن جملة واحدة، وعلى قوة حرص المؤمنين في إنزال سورة جديدة تأمرهم بالخير وتحث عليه، فنَزَّل في الآتين للدلالة على قوة الطلب، لذلك عدل القرآن الكريم إلى بنية أنزل في الإجابة عن كلام المؤمنين فقال: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ [محمد: ٢٠: ٢٠ لأن إنزال السورة يتم مرة واحدة[١]. والله أعلم.]

ومن الآيات التي اختلف فيها توظيف القرآن الكريم لمادة نزل قوله تعالى في سورة الأعراف ويوسف والنجم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٧١]

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٣]

في سورة الأعراف كان الحديث في الرد على تعنت المشركين واستهزائهم لذلك وظف نزَّل الدالة على القوة في التنزيل، لأن مقام الرد يقتضي توظيف البنية القوية، وأما في سورة يوسف والنجم فليس المقام مقام الرد والإجابة على كلام سابق للمشركين، لذلك اكتف ببنية أنزل الدالة على مطلق الإنزال دون التنصيص على القوة والمبالغة. والله أعلم.

ومما اختلف التوظيف أيضا بين نزَّل وأنزل في سياقين متقاربين قوله تعالى في سورة الأنعام وفي سورة العنكبوت.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:] ٣٧

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [العنكبوت:] ٥٠

(١)ينظر: **دقائق الفروق اللغوية في القرآن**، ص:٢٢٢.

لأن تعنت الكفار الذي ذكر في سورة الأنعام أشد مما في سورة العنكبوت، فالآيات السابقة على هذه الآية في سورة الأنعام فيها تفصيل للآيات الكونية الكافية للاستجابة لو كانوا يسمعون كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام:]٣٧

لذلك وظف نزَّل للدلالة على قوة تعنتهم في طلب آية جديدة لعدم استجابتهم للآيات السابقة.

قال الغرناطي:" لما تقدم قبل آية الأنعام ذكر دلائل من خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور بحال من كذب وعاند إلى ما تبع ذلك من الآيات التي يحتاج فيها إلى النظر وإعمال الفكر والاعتبار وكان مظنة لتغبيط الجاحد، فطلبوا آية تبهر ولا يحتاج معها إلى كبير نظر كناقة صالح عليه السلام أو شبه ذلك فافتتحوا فيما ذكره سبحانه عنهم بأداة لولا التحضيضية حرصا على ما طلبوه، وأتوا بالفعل مضعفا لما أرادوه من التأكيد فقالوا: نَزَّل"(١).

ثم قال " – وآية العنكبوت – لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آية الأنعام فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعف وجاء ذلك كله على ما يجب ولم يكن عكس الوارد ليناسب"(٢). والله أعلم

٧– الفرق بين نعَّم وأنعم:

نعَّم وأنعم فعلان مزيدان للدلالة على التعدية، والمجرد نعِم يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح[٣]، والمزيدان وإن كان يشتركان في الدلالة على التعدية لكن توظيف القرآن لهما يدل على الفرق بينهما، فقد وظف نعَّم في النعمة الحسية وهي كل ما يترف به الإنسان من المال والجمال والنساء والطعام.

قال الفيرزآدي:" ونعمه تنعيما: جعله فى نعمة ولين عيش، وطعام ناعم، وجارية ناعمة ومناعمة ومنعمة: حسنة العيش والغذاء"[٤].

والنعمة الحسية يشترك فيها المؤمن والكافر والعاقل وغير العاقل، وتكون في الخير والشر، وقد وظف القرآن الكريم بنية نعَّم في مكان واحد من القرآن الكريم للدلالة على غرور الإنسان بما يمتعه الله به من المال والبنين وسائر الملذات فيظن أن هذا يدل على كرامته على الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴾ الفجر: ١٥

أما أنعم فالغالب توظيفه للإحسان المعنوي مثل الهداية إلى الإيمان والأعمال الصالحة، ولا يكون لإنعام

(١)الغرناطي، **ملاك التأويل**، د.ط، ج١، ص:١٥٨.

(٢)المرجع السابق.

(٣) بنظر ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د.ط، ج٥، ص:٤٤٦.

(٤) الفيروز أبادي، **بصائر ذوي التنبيه**، د.ط، ج٥، ص:٩٠.

إلا للعاقل، قال الفيروزآبادي:" الإنعام: الإحسان إلى الغير ولا يقال إلا إذا كان المحسن إليه من الناطقين، فلا يقال أنعم على فرسه"[١].

وقد وظف القرآن الكريم هذه البنية في معرض الحديث عن النعم المعنوية.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ النساء: ٦٩

﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾ النساء: ٧٢

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ ﴾ المائدة: ٢٣

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَاۚ ﴾ مريم: ٥٨

﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ ﴾ الأحزاب: ٣٧

ولعل السر في توظيف نعَّم للإحسان الحسي كون ما يتمتع به الإنسان متعددًا ومتنوعًا؛ فالإنسان يتمتع بالمال، والجاه والملك، والنساء، والأولاد، والطعام، والشراب، والثياب، والمراكب، والمساكن، فلما كان ما يتمتع به كثيرًا ومتعددًا ناسب أن يوظف فيها البنية الدالة على التكثير والتكرار. والله أعلم

أما الإحسان المعنوي فأفضله هو الهداية إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى، وصراط الله تعالى واحد لا يتعدد، فلا تناسبه البنية الدالة على التكثير. والله أعلم

٨- الفرق بين وصَّى وأوصى:

تدل مادة وصَّى وأوص على العهد بالشيء إلى الغير ليفعله على وجه اللزوم، يقال: أوصى الرجل ووصاه عهد إليه[٢]

وقال الراغب:"الوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم: أرض واصية: متصلة النبات، ويقال: أوصاه ووصاه."[٣].

وقد وظف القرآن الكريم هذه المادة في بنيتين وهما: وصَّى وأوصى، واختار بنية وصَّى المضعفة الدالة على المبالغة والقوة والتكرار في الوصية بالأمور المعنوية الدينية، للدلالة على العناية بها عناية زائدة على الأمور الحسية الدنيوية.

فقد وظفها القرآن الكريم في وصية الله لعباده في الثبات على عبادته وعلى شريعته، وهي أعظم وصية

١- المرجع السابق.

١- ينظر ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، د.ط، ج٨، ص:٣٩٥، مادة وصى.

٢- الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، د.ط، ج١، ص:٨٧٣.

على الإطلاق من حيث النظر إلى الموصِي والموصَى به؛ةلذلك احتاج المقام إلى بنية تدل على قوة الفعل والمبالغة فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٤٤

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥١

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٢

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٣

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ الشورى: ١٣

ووظفت أيضا في وصية الأنبياء لأبنائهم في الثبات على التوحيد حتى الممات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٢ ووظفت أيضا في وصية الله الأبناء بالإحسان إلى الوالدين، وهي وصية مهمة بلغت أهميتها أن قرنها الله تعالى بالتوحيد؛ لذلك اختير لها بنية وصَّى للدلالة على قوة الوصية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ العنكبوت: ٨

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ لقمان: ١٤

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ﴾ الأحقاف: ١٥

أما بنية أوصى فقد وظفها القرآن الكريم في الأمور المالية الدنيوية لأن أهميتها دون أهمية الأمور الدينية؛ لذلك اختير بنية أفعل وهي أوصى في جميع آيات الميراث: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ النساء: ١١

﴿ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ

ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ ﴾ النساء: ١٢

أما قوله تعالى في سورة مريم﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾ مريم: ٣١

حيث وظف أوصى في الأمر الديني فالمقصود من كلام عيسى تبرئة أمه من تهمة الزنا ويقتضي ذلك ضرورة التعريف بمقامه عند الله، فذكر وصية الله تعالى له بالصلاة والزكاة من باب التعريف بالنفس؛لأنه حين كلامه كان في المهد صبيا لم يبلغ سن التكليف لذلك عبر عن الوصية ببينة دالة على مطلق الوصية دون المبالغة أو التأكيد[١].

٨- الفرق بين وفَّى وأوفى: أصل هذه المادة يدل على الإتمام والإكمال، جاء في المفردات للراغب "الوافي: الذي بلغ التمام. يقال: درهم واف، وكيل واف، وأوفيت الكيل والوزن"[٢].

وقد وظفت العرب هذه المادة في بنيتين وهما: وفّى على وزن فعَّل، وأوفى على وزن أفعل، ومعلوم أن بنية فعَّل

أقوى وأبلغ في الدلالة على المعنى من أفعل لذلك فرق القرآن الكريم بينهما في الاستعمال.

فوظف وفَّى في المعاني الكبيرة الدالة على التوفية الكاملة، والإتمام الكامل، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهي في حق الإنسان القيام بجميع الواجبات على وجه التمام والكمال كما قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ النجم: ٣٧

فتوظيف وفَّى أنسب للسياق من أوفى؛ لأن المقام مقام مدح وثناء، فينبغي اختيار ما كان أبلغ وأقوى في الدلالة على المدح، قال الراغب:" فتوفيته أنه بذل المجهود في جميع ما طولب به، من بذله ماله بالإنفاق في طاعته، وبذل ولده الذي هو أعز من نفسه للقربان"[٣].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التوفية التي قام به إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ البقرة: ١٢٤

والإتمام هي التوفية المذكورة في سورة النجم

ووظفت وفَّى أيضا للدلالة على إتمام أجر العاملين توفية كاملة شاملة لجميع الأعمال صغيرها وكبيرها خيرها وشرها، ولا شك أن التعبير عن هذه التوفية الكاملة الشاملة يفتقر إلى بنية قوية الدلالة على المعنى المطلوب، وزد على ذلك أن فعَّل تدل على التكثير والتكرار وهي مناسبة لكثرة المكلفين من الجن والإنس الذين يوفون جزاء عملهم يوم الحساب، لذلك وظف

١- ينظر دز فاضل السامرائي، **بلاغة الكلمة في القرآن**، د.ط، ص:٥٩. ود .محمد ياس خضر، **دقائق الفروق اللغوية في القرآن الكريم** د.ط، ص:٢٢٤.

١- الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، د.ط، ج١، ص:٨٧٨.

٢- المرجع السابق.

القرآن بنية وفَّى في جميع السياقات الدالة على إتمام الأجر والجزاء.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٨١

﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ آل عمران: ٢٥

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ آل عمران: ٥٧

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ النساء: ١٧٣

﴿ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ هود: ١١١

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ الزمر: ١٠

﴿ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ الزمر: ٧٠

أما أوفى لما كانت دون وفَّى في القوة والمبالغة فوظفت في الأمور الخاصة مثل الوفاء بالعهد والنذر والكيل والميزان.

قال الفيومي: وفيت بالعهد والوعد أفي به وفاء والفاعل وفي والجمع أوفياء مثل صديق وأصدقاء وأوفيت به إيفاء"[١].

وفي لسان العرب:" وفى: الوفاء: ضد الغدر، يقال: وفى بعهده وأوفى بمعنى؛ قال ابن بري: وقد جمعهما طفيل الغنوي في بيت واحد في قوله:

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته *** كما وفى بقلاص النجم حاديها"[٢].

وقد وظف القرآن الكريم بنية أوفى في الوفاء بالعهد وهي أنسب للمقام، لأنه وفاء بأمر خاص ليس مثل توفية الأجر فإنه عام لجميع الأعمال.

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ المائدة: ١

﴿ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٢

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ ﴾ النحل: ٩١﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ الإسراء: ٣٤

ووظفها أيضا في الأمر بإيفاء الكيل والميزان:

١- الفيومي، **المصباح المنير**، د.ط، ج٢، ص:٦٦٧.

٢- ابن منظور، **لسان العرب**، د.ط، ج١٥، ص:٣٩٨.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ الأنعام: ١٥٢

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ هود: ٨٥

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٥

﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾ الشعراء: ١٨١ والله أعلم

الخاتمة وأهم النتائج

أما بعد: فهذه خاتمة هذه الجولة القصيرة الممتعة في رحاب كتاب الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه شُرِفت به ووفقت إليه، وإن لم أكن أهلًا له لقلة بضاعتي وضآلة حصيلتي، لكن توفيق الله تعالى وعونه وكرمه يجبر كل كسر ويقوي كل ضعف ويذلل كل صعب، فهذا الذي قوى عزيمتي وشد حماسي في والوقوف على بعض عجائب القرآن الكريم من ناحية توظيفه للفروق الدلالية بين هاتين البنتين اللتين شغلتا الباحثين قديما وحديثا، فما كان في هذه الورقة من توفيق وسداد وصواب فمن الله وحده، فله الحمد والمنة في الأولى والآخرة، وما كان من تقصير، وقصور، وزلل، وخطأ، فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، وهو القدر الذي تسمح به طاقتي المحدودة.

وهذه أهم النتائج التي يمكن تسجيلها في نهاية هذه الورقة القصيرة.

١- وظف القرآن الكريم بعض الأفعال ذات الأصل الواحد في بنيتي فعَّل وأَفْعل، وهي: بلَّغ وأبلغ، ونبَّأ وأنبأ، وكرَّم وأكرم، ومهَّل وأمهل، ونجَّى وأنجى، ونعَّم وأنعم، ووصَّى وأوصى، ونزَّل وأنزل، ووفَّى وأوفى. وعند تتبع أسباب اختيار القرآن الكريم لهاتين البنيتين وصل البحث إلى أن القرآن الكريم يوظف بينة فعَّل للدلالة على المعاني الآتية وهي:

أ- الدلالة على المبالغة والقوة في الفعل كما في: وصَّى، ووفَّى وكرَّم ونعَّم.

ب- الدلالة على وقوع الفعل على وجه التفصيل والتقصي وعدم الإخلال بشيء منه كما في: بلَّغ ونبَّأ

ج- الدلالة على التدرج والتمهل في وقوع الفعل، أو التكرار كما في نزَّل وبشَّر ونجَّى.

د- الدلالة على الاهتمام والعناية كما في نزَّل ووصَّى، ووفَّى وكرَّم.

أما بنية أفعل فقد وصل البحث إلى أنها توظف للدلالة على عكس المعاني التي تدل عليها فعَّل، فحيث جاء الفعل على بنية فعَّل تارةً وأفعل تارةً، فإن أفعل توظف عند عدم إرادة المبالغة في الفعل، مثل أوصى، وأوفى وأكرم وأنعم، أو للدلالة على وقوع الحدث على وجه الإجمال دون التفصيل والتقصي مثل: أبلغ، وأنبأ، أو للدلالة على السرعة في قوع الحدث ووقوعه دفعة واحدة كما في أنزل وأنجى.

ثبت المصادر والمراجع

١- ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**. تحقيق محمد علي النجار، ط٢، (بيروت دار الهدى للطباعة النشر، ١٩٥٢م).

٢- ابن الحاجب، عثمان بن عمر، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق: حسن أحمد العثمان، ط١، (مكة، الناشر: المكتبة المكية، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٣- الراغب، أبو القاسم الحسين، **المفردات في غريب القرآن** تحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، (بيروت: دار القلم، الدار الشامية – دمشق ١٤١٢هـ).

٤- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، د.ت، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٥- ركن الدين، حسن بن محمد، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقق: إميل بديع يعقوب، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤).

٦- رضا هادي حسون، **الفروق الدلالية بين الأفعال المزيدة في القرآن الكريم**:٣٠/ مجلة كلية التربية /الجامعة المستنصرية / العدد الثاني.

٧- الزبيدي، محمّد بن محمّد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقق: مجموعة من المحققين، د.ط، (د.م، الناشر: دار الهداية، د.ت).

٨- الزمخشري، أبو القاسم محمود، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، د.ت**، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقق: علي بو ملحم، ط١، (بيروت: مكتبة الهلال – بيروت، ١٩٩٣).

١٠- ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقق: عبد الحميد هنداوي، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).

١٢- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، **المخصص**، تحقق: خليل إبراهيم جفال، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م).

١٣- الأصمعي، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك، **الأصمعيات اختيار الأصمعي**، تحقق: أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، د.ت، ط٧، (د.م، د.ن، ١٩٩٣م).

١٤- ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير، د.ت، د.ط**، (**د.م**، الدار التونسية للنشر- تون، ١٩٨٤هـ).

١٥- ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، **الممتع الكبير في التصريف**، د.ت، ط١، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م).

١٦- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

١٧- فاضل السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.ت**، ط٢، (د.م، العاتك لصناعة الكتاب، ٢٠٠٦).

١٨- ابن فارس، أحمد بن فارس، أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، (د.م، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

١٩- ابن فارس، أحمد بن فارس، أبو الحسين، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).

٢٠- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، **أدب الكاتب**، تحقق: محمد الدالي، د.ط، (د.م، الناشر: مؤسسة الرسالة، د.ت).

٢١- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، ط٢، (القاهرة: الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).

٢٢- ابن مالك، محمد بن عبد الله، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقق: محمد كامل بركات، د.ط، (د.م، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م).

٢٣- ابن مالك، **شرح التسهيل** تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، ط١، (د.م، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

٢٤- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، **الفروق اللغوية**، تحقق وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، د.ط، (القاهرة، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، – مصر، د.ت).

٢٥- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، د.ط، (القاهرة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، ١٩٩٥م).

٢٦- ابن يعيش، يعيش بن علي، **شرح المفصل للزمخشري**، د.ت، ط١، (بيروت: الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م).